

أفق

"دملان" حبيب سروري حكيم عنكر (صحيفة الخليج)

منذ أن قرأت ثلاثية "دملان" للكاتب اليمني المقيم في فرنسا حبيب سروري، إلا وتراودني أفكار بالكتابة عنها، لا اعتبارات عدة من بينها، نفص غبار الجهل بالأدب السردي في اليمن، وعن النماذج المضئبة التي لا يعرف عنها القارئ العربي إلا الشيء القليل، وثانياً لكون رواية "دملان" تقدم قراءة عميقة لصورة الأمكنة والناس وسنة الحياة في هذا العالم اليمني المتعدد والمتشابه الأطراف، وثالث الأشياء أن "دملان" من وجهة نظر أخرى هي رواية في معنى الاغتراب، وفي مفهوم الوطن والهوية وفي علاقة الفرد بالسلطة في مستوياتها وتجلياتها المختلفة.

غير أن أهم ميزة في "دملان"، هذه الرواية الطويلة والشاقة في القراءة، هي تلك التماسات مع الواقع الحرفي ومع الحقيقة، أي ذلك القرب المقصود الذي تدشنه مع الوجوه كما هي في الحياة، ومن بينها تحديداً، وجوه المثقفين اليمنيين من كتاب وشعراء وفنانين تشكيليين ووجوه سياسة وبوليس ورجال سلطة وجلايين، ووجوه أخرى لمثقفين عرب وطلبة عرب راديكاليين في المهجر متسربين من أوطانهم بحثاً عن فضاءات أكبر للحرية، في هذه "الفسحة" الأوروبية.

البطل الرئيسي لـ "دملان" والذي اختار له الكاتب اسم "وجدان" يعاني من انتكاسات كثيرة ومن أحلام مبهضة ورؤيته المتوثبة للأشياء والعالم سرعان ماتتغيم نتيجة الانتكاسات الذاتية والجماعية في ظل سيادة خليط عجيب من التناقضات الثقافية والسياسية والاجتماعية.

وفي الاعتقاد أن هذا العمل الأدبي الضخم من حيث الحجم والغني من حيث البناء السردية ومحمولاته الثقافية والفكرية وأطروحاته الأدبية، يندرج من جهة ضمن المدونة الأدبية التي أنتجها الكتاب العرب المقيمون في المهجر، وهو لذلك غني بمادته الأدبية والثقافية وطاقته المنطلقة إلى الأمام، وهو من جهة أخرى يقدم صورة إيجابية عن الأدب الذي ينتجه غير المشتغلين بالأدب، من مهندسين وأطباء وعلماء كمبيوتر.

وهي خصيصة تتعزز باستمرار في الفضاء الإبداعي العربي.

"دملان" هي قراءة في التاريخ اليمني الحديث وفي المعيقات التي أجهضت كل الأحلام بالتقدم والقطع مع أسباب النكوص، وهي أيضاً نقد لدور النخب الثقافية الوطنية وعدم قدرتها على اقتراح البدائل الضرورية، وتأمل في الارتكاسات التي تحول دون تحقيق مشاريع التقدم، ونقد عميق لمسلسل الأحلام المبهضة.

من جميل الصدق أن هذه الرواية مطبوعة في اليمن، على غرار رواياته الأخرى، وتوزع وتباع في المكتبات بكل حرية، لكن الغرابة كما يقول حبيب سروري نفسه، أن تكون كتبه ممنوعة من مغادرة بلاده، يعلق سروري على ذلك : إنه الفضاء اليمني الأشد غرابة.

يعيش هذا البروفيسور المختص في المعلومات ويكتب في مدينة روان الفرنسية، تراوده أحلام بالخروج من عنق الزجاج وانعتاق الفرد العربي من مسوحوه ومسوخه، وهو من أجل ذلك لا يتورع في كتابة سيرته الذاتية أو مايشبه السيرة الذاتية في سرده الطويل، الذي لا يهادن. تحية لهذا الكاتب الذي يستحق القراءة وإعادة الاكتشاف.